

## سورة الجن

هي مكية ، وآياتها ثمان وعشرون ، نزلت بعد سورة الأعراف .  
 ووجه اتصالها بما قبلها من وجوه :

- (١) أنه جاء في السورة السابقة : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ » وجاء في هذه السورة : « وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا » .
- (٢) أنه ذُكر في هذه السورة شيء يتعلق بالسما كالسورة التي قبلها .
- (٣) أنه ذكر عذاب من يعصى الله في قوله : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا » وذكر هناك مثله في قوله : « أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) .

## شرح المفردات

النفر : ما بين الثلاثة والعشرة ، والجن : واحد من جنّ كروم ورومي ، عجبا : أى عجيبا بديعا مبيّنا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى ، والجّد : العظمة يقال جَدّ فلان فى عيى : أى عظم ، قال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدّ فينا : أى جلّ قدره وعظم ، والسفيه : الجاهل ، شططا : أى غلوا فى الكذب بنسبة صاحبة الولد إليه ، يعوذون : أى يلتجئون ، وكان الرجل إذا أمسى بقفر قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، رهقا : أى تكبرا ، وأصل الرهق : الإثم وغشيان المحارم .

## المعنى الجملى

اعلم أن الله سبحانه سَمى سور كتابه بأسماء تبعث على النظر والاعتبار وتوجب التفكير ، فسمى بالأنعام بالحشرات كالنمل والنحل والعنكبوت وبما هو أطف من ذلك كالنور ، كما سَمى ببعض الأنبياء ، كيوسف ويونس وهود ، وبعض الأخلاق كالنوبة ، وبعض السكواكب العلوية كالشمس والقمر والنجم ، وبعض الأوقات كالليل والفجر والضحي ، وبعض المعادن كالحديد ، وبعض الأماكن كالبلد ، وبعض النبات كالتين وكل ذلك مما نراه .

وهنا سَمى هذه السورة بعالم لأنراه وهو عالم الجن ، وهو عالم لم يعرف فى الإسلام إلا من طريق الوحى ، وليس للعقل دليل عليه ؛ ولقد أصبحت هذه العوالم المستقرة عنا الشغل الشاغل اليوم للعلماء والباحثين ، فصار علماء أوربا يدرسون عالم الملائكة وعالم الجن وعالم الأرواح ، ويطلعون على غوامض هذه العوالم ، فتحدث الناس مع أرواح أصحابهم الذين ماتوا ، واتصل العالم الإنسانى بالعالم الجنى ، وبالعالم الأرواح الطاهرة وهم الملائكة ؛ وقد خطب السير أوليفر لودج من أشهر علماء الطبيعة فى هذا العصر ،

في بلاد الإنكليز في مجمع من كبار العلماء قال : إنه حادث الأموات ، وإن هناك عقولا أسمى من عقولنا في عالم الأرواح ، وإنهم يهتمون بنا ، وإن إخواني من رجال الجامعة الروحية الذين ماتوا — كلتهم بعد موتهم ، وبرهنوا بأدلة قاطعة أنهم هم الذين يكلمونني ، وقال : إن كل مايقوله الأنبياء عن عالم الأرواح وعن الله فهو حق بلا تأويل .

وجاء في كتاب « إخوان الصفا » إن أرواح الأحياء بعد الموت هم الموسوسون إن كانوا أشرارا ، وهم الملهمون الناس الخير إن كانوا أخيارا .

وقال شير محمد الهندي في كتابه في المجلس السابع : لقد جمعت بين ما جاء به الدين الإسلامي والكشف الحديث كقولهم : إن كل علم وكل خير وشرف حاصل في الأفتدة منشؤه الأرواح الفاضلة والأرواح الناقصة ، وهو بعينه ما جاء في الحديث : « في القلب لمتان لمة من اللآلئ و لمة من الشيطان » وهذا مصداق لقوله تعالى : « سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ » . والعجب أن الفرنيجة يكشفون هذا ولا يعلمون أنه مصداق دين الإسلام اهـ .

واعلم أن ما جاء في هذه السورة من السمعيات التي لادليل عليها من العقل قد بقي في الإسلام حوالي أربعة عشر قرنا تتلقاه الأمة بالقبول جيلا بعد جيل دون بحث عن حقائقه حتى عني علماء أوروبا في العصر الحديث بالبحث عنه ، فظهر لهم أن الأرواح الناقصة تسمع كلام الناس وتهتدي به ، وأنها لا تعرف ما فوق طاقتها ، فلا تهتدي بهدى الأرواح العالية ؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم مثلاً قد ارتقى في العلم إلى حد لا يمكن الأرواح الناقصة أن تتعلم منه ؛ فما أشبه حالهم بحال الجبال الذين يسمعون من أبنائهم المتعلمين العلم ولا يفهمونه ، ومماثل حال الأرواح الناقصة بعد الموت إلا مثل حالها المشاهدة في الدنيا ، فإننا نرى الجبال لا يحلسون في مجالس العلم إلا قليلا حين يتنزل العلماء لإصلاح حالهم ، ولا يظهر لهم إلا القليل من ثمرات العلم ، فهم في الحياة الدنيا ممنوعون من السمع ، وقد يشتد المنع إذا كان في السماع مفسدة .

كمعرفة الأسرار الخفية ، والخطط السياسية التي ينبغي أن تبقى سرا مكتوما بين الدول ، وهذا المنع الذي نشاهده أشبه بالمنع من استراق السمع ، لأنه إنما كان لحفظ الدرجات ، وهي المعارج لأربابها .

## الإيضاح

(١) قل أوحى إلى أنه استمع نقر من الجن (أمر الله رسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى به إليه من قصص الجن ، لما في علمه من فوائد ومنافع للناس ، منها :  
(١) أن يعلموا أنه كما بعث عليه الصلاة والسلام إلى الإنس فقد بعث إلى الجن .

(٢) أن يعلموا أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا .

(٣) أن يعلموا أن الجن مكلفون كالإنس .

(٤) أن يعلموا أن المؤمنين منهم يدعونه من قبيلته إلى الإيمان .

(٥) أن تعلم قریش أن الجن على تمردها لما استمعت القرآن عرفت إعجازه وأمنت به .

وظاهر الآية يدل على أنه عليه الصلاة والسلام علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ، ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رأيهم ، وإنما انطلق بطائفة من الصحابة لسوق عكاظ ، وقد حيل بين الجن والسماء بالشهب ، فقالوا : ماذا إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر من ذهب منهم إلى تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الفجر بأصحابه بنخلة ، فلما استمعوا له قالوا : هذا الذي حال بيننا وبين السماء ، ورجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا الحق ، فأنزل الله عليه : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ » الآيات ، وقد كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

وقد حكى الله عن الجن أشياء :

(١) ( فقالوا : إنا سمعنا قرآنًا عجيبا . يهـدى إلى الرشـد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحـدا ) أى قالوا لقومهم حين رجـعوا إليهم كما جاء فى قولهم : « فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ » إنا سمعنا كتابا بديعاً يهـدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، فصدقنا به ، ولن نعود إلى ما كنّا عليه من الإشرـاك بالله .

(٢) ( وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ) أى وإنيهم كما نفوا عن أنفسهم الإشرـاك بالله نزـهوا ربهم عن الزوجة والولد ، لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها ، ولأنها من جنس الزوج كما قال : « خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا » ، والولد للتكثـر والاستئناس به ، والحاجة إليه حين السكـبر وبقاء الذكـر والشهرة كما قال :

وكم أب علا بابن ذرأ شرف كما علت برسول الله عدنان  
والله سبحانه منزّه عن ذلك ، تعالى ربنا علوا كبيرا .

والخلاصة — علامك ربنا وسلطانـه أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطـرم الشهوة إلى اتخاـذ صاحبة أو ملامسة يكون منها الولد .

(٣) ( وأنه كان يقول سفيها على الله شططا ) أى وإن الجهال من الجن كانوا يقولون قولاً بعيداً عن الصواب ، بنسبة الولد والصاحبة إليه تعالى .

(٤) ( وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ) أى وأنا كنا نظن أن لن يكذب أحد على الله تعالى ، فينسب إليه الصاحبة والولد ، ومن ثم اعتقدنا صحة قول السفيه ، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم كانوا كاذبين ، وهذا منهم باقرار بأنهم إنما وقعوا فى تلك الجـولات بسبب التقليد ، وأنهم إنما تخلصوا منها بالإستدلال والبحث .

(٥) ( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ) أى وأن رجالا من الإنس كانوا يستعيذون فى القفر برجال من الجن ، فزادوا الجن بذلك طغيانا وغيا ، بأن أضلّوهم حتى استعاذوا بهم .

وخلاصة ذلك — أنهم لما استعاذوا بالجن خوفاً منهم ولم يستعينوا بالله ، استذلّوهم واجترأوا عليهم وزادوهم ظمأ .

(٦) ( وأنهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ) أى وأن الجن ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله رسولا إلى خلقه ، يدعوهم إلى توحيده ، والإيمان برسالة واليوم الآخر .

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاَهَا مُرْتَجَةً مُرْتَجَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَبًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا وَرَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) .

### شرح المفردات

لمسنا السماء : أى طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا ، والحرس والحراس ، واحدهم حارس ، وهو الرقيب ، شديد : أى قويا ، والسمع : الاستماع ، والشهب : واحدها شهاب ، وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب ، رصد : أى أرصد له ليرى به

رشدًا : أى خيرا وصلاحا ، قَدَدَا : أى جماعات متفرقة وفرقا شتى ، ويقال صار القوم قَدَدَا : إذا تفرقت أحوالهم ، واحدها قِدَّةٌ وهى القطعة من الشئ ، هربا : أى هاربين إلى السماء ، والمراد بالهدى القرآن ، والبخس : النقص ، والرهق الظلم والمكروه الذى يغشى المظلوم ، القاسطون : أى الجائرون العادلون عن الحق ، تحرَّوْا رشدًا : أى قصدوا طريق الحق ، خطبا : أى وقودا للنار ، والطريقة : هى طريق الإسلام ، غَدَقًا : أى كثيرا ، يسلكه : أى يدخله ، صعدا : أى شاقا يعلى للعذب ويغلبه ، يقال فلان فى صعد من أمره : أى فى مشقة ، ومنه قول عمر : ماتصعدنى شئٌ كما تصعدنى فى خطبة النكاح ، أى ماشقٌ على ، وكأنه إنما قال ذلك لأنه كان من عادتهم أن يذكروا جميع ما يكون فى الخطاب من أوصاف موروثه ومكتسبة ، فكان يشق عليه أن يقول الصدق فى وجه الخطاب وعشيرته .

### الإيضاح

(٧) (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) يخبر سبحانه عن مقال الجن حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وحفظ منهم ، إن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا تحرسها من سائر أرجائها وتمنعنا من استراق السمع كما كنا نفعل .

أخرج أحمد والترمذى والنسائى عن ابن عباس قال : كان للشياطين مقاعد فى السماء يسمعون فيها الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زادوا فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنِعُوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين بمكة ، فأبؤوه فأخبروه ، فقال : هذا هو الحدث الذى حدث فى الأرض .

(٨) (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أى وأنا كنا نقعد قبل ذلك فيها مقاعد خالية من الحرس والشهب ، لنسترق السمع ، فطردنا منها حتى لانسترق شيئا من القرآن ونلقيه على ألسنة الكهان ، فيلتبس الأمر ولا يدري الصادق ، فكان ذلك من لطف الله بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز .

( فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً ) أى فمن يرُ أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يهلكه ويمحقه .

وإنا لنفؤمن بما جاء فى الكتاب الكريم من أن الجن كانوا يسترقون السمع ، ومُؤمنوا من ذلك بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لانعرف كيف كانوا يسترقون السمع ، ولا نعرف كنه الحرس الذين منعوم ، ولا المراد بالشهب التى كانت رصداً لهم ؛ والجن أجسام نارية فكيف تحترق من الشهب .

ويرى قوم أن مقاعد السمع هى مواضع الشبد التى يوسوس بها الجن فى صدور الناس ، ليصدوهم عن اتباع الحق ، والحرس : هى الأدلة العقلية التى نصبها سبحانه لهداية عباده ، والشهب الأدلة الكونية التى وضعها فى الأنفس والآفاق .

وعلى هذا يكون المعنى : إن القرآن الكريم بما نصب من الأدلة العقلية والأدلة الكونية حرس للدين من تطرق الشبد التى كان الشياطين يوسوسون بها فى صدور الزائفين ، ويحكونها فى قلوب الضالين ، لينعومهم من تقبل الدين والاهتداء بهديه ، فمن يفكر فى إلقاء الشكوك والأوهام فى نفوس الناس بعدئذ يجد البراهين التى تقطعها من جذورها .

(٩) (وأنا لاندري أشراً أريد بن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) أى وإن السماء لم تحرس إلا لأحد أمرين :

( أ ) إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة .

( ب ) وإما للنبي مرشد مصلح .

وكانهم يقولون : أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجه من استمع منا بالشهب ، أم أراد بهم ربهم الهدى ، بأن يبعث منهم رسولا مرشدا يهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؟ .

(١٠) (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِدَا) أى وأنا منا المسلمون العاملون بطاعة الله ، ومنا قوم دون ذلك ، وأنا كنا أهواء مختلفة وفرقا شتى ، فمننا المؤمن والغاسق والكافر كما هي الحال في الإنس .

(١١) (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) أى وأنا علمنا أن لن نعجز الله في الأرض أينما كنا في أقطارها ، ولن نعجزه هربا إن طلبنا ، فلا نفوته بحال .

والخلاصة — إن الله قادر علينا حيث كنا ، فلا نفوته هربا .

(١٢) (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فنؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى وأنا لما سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم صدقنا به وأقررنا بأنه من عند الله ، ومن يصدق بالله وبما أنزله على رسله فلا يخاف نقصا من حسناته ، ولا ذنبا يحمل عليه من سيئات غيره قاله قتادة .

وقصارى ذلك — أنه ينال جزاءه وافرا كاملا .

(١٣) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى وأنا منا المؤمنون الذين أطاعوا الله وأخبتوا إليه وعملوا صالح الأعمال ، ومنا الجائرون عن النهج القويم وهو الإيمان بالله وطاعته ، ومن آمن بالله وأطاعه فقد سلك الطريق الموصل إلى السعادة ، وقصد ما ينجيه من العذاب .

ثم ذم الجن الكافرين منهم فقالوا :

(وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) أى وأما الجائرون عن سنن الإسلام فكانوا حطباً لجهنم توقد بهم ، كما توقد بكفرة الإنس ، وقد ذكر ثواب المؤمنين منهم بقوله : « فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا » .

وإلى هنا انتهى كلام الجن ثم عاد إلى ذكر الموحى به إلى رسوله فقال :  
(وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) أَيْ وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ  
لَوِ اسْتَقَامَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ، لَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَلَبَسَّطْنَا لَهُمْ  
فِي الدُّنْيَا .

وإنما خص الماء الغدق بالذكر ، لأنه أصل المعاش ، وكثرته أصل السعة  
ومن ثم قيل : حيثما كان الماء كان المال ، وحيثما كان المال كانت القنعة ، ولندرة  
وجوده بين العرب ، ومن ثم آمن الله على نبيه بقوله : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ »  
على تفسير الكوثر بالنهر الجارى ، ونحو الآية قوله : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا  
وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

وسر هذا ما عرفت غير مرة من أن الخصب والسعة لا يوجدان إلا حيث توجد  
الطمأنينة والعدل ويزول الظلم ، وتكون الناس سواسية في نيل الحقوق ، فلا ظلم  
ولا إرهاب ، ولا محاباة ولا رشا في الأحكام .

ثم ذكر سبب البسط حينئذ فقال :

(لَنُفْتَنَهُمْ فِيهِ) أَيْ لَنُخْتَبِرَهُمْ أَى لَنُعَامِلَهُمْ مَعَامِلَةَ الْخْتَبَرِ لَنَرَى هَلْ يَشْكُرُونَنَا عَلَى  
هَذِهِ النِّعَمِ ، فَإِنْ وَقَّوْهَا حَقَّقَهَا كَانَ لَهُمْ مَنَى الْجَزَاءِ الْأَوْفَى ، وَإِنْ نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
اسْتَدْرَجْنَاهُمْ وَأَمَلْنَاهُمْ ، ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ، كَمَا قَالَ : « وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ  
كَيْدِي مَتِينٌ » .

(ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا) أَيْ وَمَنْ يَعْرِضُ عَنِ الْقُرْآنِ  
وَعِظَاتِهِ ، فَلَا يَتَّبِعُ أَوْامِرَهُ وَلَا يَنْتَهِي عَنْ نَوَاهِيهِ — يَدْخُلُهُ فِي الْعَذَابِ الشَّاقِ الَّذِي  
يَغْلُوهُ وَيَقْلِبُهُ ، وَلَا يُطِيقُ لَهُ جَمَلًا .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْمِعُ لَهُمْ مَنْ أَوْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) .

### شرح المفردات

المساجد : واحدها مسجد ، موضع السجود للصلاة والعبادة ، ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ، فلا تدعوا : أى فلا تعبدوا، يدعوه: أى يعبده ، لِبَدًا : ( بكسر اللام وفتح الباء ) أى جماعات ، واحدها لبدة ، والمراد متراكمين متزاحمين ، ولا رشدا : أى ولا نفعا ، ملتحداً : أى ملجأ يركن إليه ، قال : يَأْلَفُ نَفْسِي وَنَفْسِي غَيْرُ مُجْدِيَةٍ عَنِّي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مُلْتَحَدٌ بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ : أى تبليغا لرسالاته .

### الإيضاح

( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) أى قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن ، وأن المساجد لله فلا تعبدوا فيها غير الله أحدا ولا تشركوا به فيها شيئا . وعن قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله معبودات أخرى لهم ، فأمرنا بهذه الآية أن نخلص لله تعالى الدعوة إذا دخلنا المساجد .

وقال الحسن : المراد بالمساجد كل موضع سُجِد فيه من الأرض سواء أَعِدَّ لذلك أم لا ، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة .

وكانه أخذ ذلك مما في الحديث الصحيح « جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا » .  
( وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ) أى ولما قام محمد صلى الله عليه وسلم يعبد الله ، كاد الجن يكونون جماعات بعضها فوق بعض تعجبا مما شاهدوا من عبادته ، وسمعوا من قراءته ، واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا ، إذ رأوا ما لم يروا مثله ، ولا سمعوا مثل ما سمعوا .

وقال الحسن وقتادة : إنه لما قام عبد الله بالرسالة يدعوا الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الأوثان — كاد الكفار لتظاهروا به عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون متراكبين جماعات جماعات .

قال مقاتل : إن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا ، فأنزل الله :  
( قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ) أى قل لأولئك الذين كادوا يكونون عليك لبدا : إنما أعبد الله ربى ولا أشرك به فى العبادة أحدا ، وذلك ليس ببدع ولا مستنكر يوجب العجب والإطباق على عداوتى .

ثم بين أنه لا يملك من الأمر شيئا ، فهو لا يستطيع هدايتهم ولا جلب الخير لهم فقال :

( قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ) أى قل أيها الرسول لأولئك المشركين الذين ردوا عليك ماجئتهم به من النصيحة : إني لا أملك لكم ضرا فى دينكم ولا دنياكم ، ولا نفعا أجليه لكم ، وإنما الذى يملك ذلك كله هو الله الذى له ملك كل شيء ، وهو القادر على ذلك وحده وكأنه عليه السلام أمر أن يقول : ما أردت إلا نفعكم فقابلتمونى بالإساءة ، وليس فى استطاعتى النفع الذى أردت ، ولا الضر الذى أكاثكم به ، إنما ذان الله .

وفي هذا تهديد عظيم لهم وتوكل على الله عز وجل وأنه هو الذي يجزيه بحسن صنيعه ويجزيهم بسوء صنيعهم ، وفيه إيماء إلى أنه لا يدع التبليغ لتظاهرهم عليه .  
ثم بين عجزه عن شئون نفسه بعد عجزه عن شئون غيره فقال :

( قل إني لن يحيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ، إلا بلاغا من الله ورسالاته ) أى قل : إني لن يحيرني من الله أحد من خلقه إن أراد بي سوءاً ، ولن يضركني منه ناصر ، ولا أجد من دونه ملجأ ولا معيناً ، لكن إن بلغت رسالته وأطعته أجارني .

والخلاصة — إني لن يحيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته .  
وبعدئذ بين جزاء العاصين لله ورسوله فقال :

( ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ) أى ومن يعص الله فيما أمر به ، ونهى عنه ، ويكذب برسوله فإن له ناراً يصلاحها ما كثر فيها أبداً إلى غير نهاية ، ولا يحيد عنها ولا خروج منها .

ثم سلى رسوله وسرى عنه وغيرهم بقصور نظرم عن الجن مع ادعائهم الفطنة ، وقلة إنصافهم ومبادتهم بالتكذيب والاستهزاء ، بدل مبادهة الجن بالتصديق والاستهداء فقال :

( حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ) أى ولا يزالون يستضعفون المؤمنين ويستعززون بهم ، حتى إذا رأوا ما يوعدون من فتون العذاب فيستبين لهم من المستضعفون ؟ المؤمنون الموحدون لله تعالى ، أم المشركون الذين لا ناصر لهم ولا معين ؟ .

وقصارى ذلك — إن المشركين لا ناصر لهم ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

ونظير الآية قوله : « حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ » .

قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)  
عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ  
فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا  
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨).

### المعنى الجملى

أمر سبحانه رسوله أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى  
أقرب وقتها أم بعيد ، وأنه لا يعلم شيئاً من الغيب إلا إذا أعله الله به ، وهو سبحانه  
يعلم أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويعلم جميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً .  
قال مقاتل : إن المشركين لما سمعوا قوله تعالى : « حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ  
فَسَيَعْمَأُونَ مَنْ أضعفُ ناصرًا وأقلُّ عَدَدًا » قال النضر بن الحارث : متى يكون  
هذا اليوم الذى توعدنا به ؟ فأنزل الله تعالى : « قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ »  
إلى آخر الآيات .

### الإيضاح

( قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ؟ ) أمر الله رسوله أن  
يقول للناس : إن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولكن وقتها غير معلوم ، ولا يدرى  
أقرب أم يجعل له ربى أمداً بعيداً ؟  
وقد كان صلى الله عليه وسلم يُسأل عن الساعة فلا يجيب عنها ، « ولما تبدى له  
جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال : يا محمد أخبرنى عن الساعة ؟ قال  
ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جهورى فقال  
« يا محمد متى الساعة ؟ قال ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ قال أما إني لم أعد لها »

كثير صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم فأنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرح المسلمون بشئ ، فرحهم بهذا الحديث .

( علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ) أى علم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه ، وهذا لا يعلم به أحد إلا من ارتضى من الرسل صلوات الله عليهم ، فإنه يطلعهم على ما شاء منه .

ونحو الآية قوله : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » .

وفى الآية إيماء إلى إبطال الكهانة والتنجيم والسحر ، لأن أصحابها أبعد الناس عن الارتضاء وأدخلهم فى السخط ؛ وإلى أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بالقرآن ، وفيها أيضا إبطال للسكرامات ، لأن من تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا رسلا ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب .

وقال الرازى : المراد أنه لا يطلع على غيبه الخصوص وهو قيام الساعة ، والذي يدل على ذلك أمور :

(١) أن أرباب الأديان والمثل مطبقون على صحة علم التعبير وتفسير الرؤيا ، وأن المعبر قد يخبر عن الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا فيها .

(٢) أن الكاهنة البغدادية التى نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان وسألها عن أحوال آتية ، ذكرت أشياء ثم وقعت وفق كلامها .

(٣) أنا نشاهد فى أصحاب الإلهامات الصادقة ( وليس ذلك مختصا بالأولياء بل قد يكون فى السحرة ) من يكون صادقا فى كثير من أخباره ، وكذلك الأحكام النجومية قد تكون مطابقة موافقة لما سيكون فى كثير من الأحيان ، وإذا كان ذلك مشاهدا محسوسا ، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر إلى الطعن فى القرآن الكريم ، فعلنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه يتصرف .

( فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ) الرصد القوم يرصدون كالحرس ، والراصد للشئ الرقيب له ، والترصد الترقب ، والمراد بهم هنا الملائكة الحفظة ؛ أى فإنه يسلك من بين يدي من ارتضى من رسله ، ومن خلفهم حفظة من الملائكة يحفظونهم من وسائر شياطين الجن وتخاليطهم حتى يبلغوا ما أوحى به إليهم ، ومن رحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونهم ولا يضرورهم .

وعن الضحاك : ما بُعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين يتشبهون بصورة الملك ، فإذا جاء شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره ، وإن جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك .

والخلاصة — أنه يدخل حفظة من الملائكة يحفظون قواه الظاهرة والباطنة من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم .

ثم علل هذا الحفظ بقوله :

( ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ) أى إنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظوا ما ينزله إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا هذه الرسالات ؛ والمراد ليعلم الله ذلك منهم علم وقوع في الخارج كما جاء نحو هذا في قوله : « وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ » .

( وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً ) أى وهو سبحانه قد أحاط علماً بما عند الرصد من الملائكة ، وأحصى ما كان وما سيكون فرداً فرداً ، فهو عالم بجميع الأشياء منفرد بذلك على أتم وجه ، فلا يشاركه في ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم .

والخلاصة — أن الرسول المرتضى يُعلمه الله بوساطة الملائكة بعض الغيوب مما له تعلق برسالاته ، وهو سبحانه محيط علماً بجميع أحوال أولئك الوسائط ، وعالم بجميع الأشياء على وجه تفصيلي ، فإن علم الوسائط من علمه ؟

## ما تضمنته هذه السورة

اشتملت هذه السورة على مقصدين :

(١) حكاية أقوال صدرت من الجن حين سمعوا القرآن كوصفهم له بأنه كتاب يهdy إلى الرشd ، وأن الرب سبحانه تنزه عن الصاحبة والولد ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحدا يكذب على الله ، وأن رجالا من الإنس كانوا يستعيذون في القفر برجال من الجن ، وأن الجن طلبوا خبر العالم العلوى فنعوا ، وأن الجن لا يدرون ماذا يحل بالأرض من هذا المنع ، وأن الجن منهم الأبرار ومنهم الفجار ، ومنهم مسلمون وجأرون عادلون عن الحق .

(٢) ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه إلى الخلق ، ككونه لا يشرك بربه أحدا ، وأنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، وأنه لا يمنعه أحد من الله إن عصاه ، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يدري متى يكون وقت تعذيبهم ، فالعلم لله وحده .